إمـــرأة زرقـــاء

قصص قصيرة ولوحات

أمين الصيرفى

عيون جديدة

الإهداء..

إلى حبيبتي

جنية الأساطير

التي وهبت ألواني.. بريق عينيها

وكلماتي.. صدى صوتها الجميل

أمين الصيرفي

«إن في الحلم بقية من الإنسانية لم تمت..
وما عدنا اليوم نملك بلوغها عن طريق مباشر»

نيتشه



بيجاسوس

بيجاسوس

* أبيض اللون ، سماوى النزعة ، ناعم البشرة ، كستنائى الشعر ، جامح النظرة .

يلهو فى أرجاء الكون الوسيع .. كل البلاد بلاده ، يعرف كل اللغات ، بليغ الصمت .

يتهادى فى عشق اللون الأخضر ، لكنه مخلوق من سحب زرقاء ، يسكن كوكباً بعيداً ، هادئاً ، مجهول الهوية .

بيجاسوس .. حصان الأساطير المجنح

اعتقد الناس أن «بيجاسوس» قد اختفى منذ ملايين السنين بعدما ساعد فارس المدينة على قتل وحش البحر وإسترد محبوبته .. بعدها انطلق الى عنان السماء ولم يره أحد بعد ذلك .

يقولون أيضاً .. إن «بيجاسوس» كان فى البداية سحابة سقطت فى البحر .. فتحولت الى فقاعة كبيرة . خرج منها حصان مجنح .. طار وأخذ يحوم حول الأرض .

* ٩ مارس ١٩٦٥ م

غمرنى الضوء واجتاحنى ضجيج غير عادى ، لزج ، سميك يتبخر ويعود يتلاصق مع جلدى العارى

أحاول الصراخ .. لا أستطيع .. حلقى جاف

بذراعى أحاول الاستناد الى جدار الرحم الدافىء فلا أجده .. إتساع لانهائى .. فراغ فى كل جانب.

لحظة الميلاد الأول .. صرخت فى مواجهة عالم جديد كان الكون قبلاً ضيقاً لا يسع سواى واليوم أواجه أكوان لا نهائية ، كائنات أكثر ضخامة وقدرة

إفتقدت الدفء ، السكون ، التوحد مع الأنا .

ابحث داخلى عن معنى جديد للأشياء ، اللغة ، الأشكال ، الآخرين ، البحث عن الذات الأولى النقية ، البدائية ، الرغبة فى التطور ، حب البقاء.

مع لحظة الميلاد الأولى تبدأ بذور جديدة فى التواجد والنمو، النمو مصحوباً بألم خروج النبت من قلب الأرض .. ألم جديد ، بعدها نحيا تجربة الميلاد مرات ومرات .

أشياء تموت وأشياء تولد .. وأحلام لا تنتهى .

* ٣٠ مارس ١٩٩٠م

فى منتصف القاعة الشاسعة تنقلت ببصرى مابين الألوان الجاثمة على الحوائط فى إطارات هادئة تبدو كما لو كانت تمنعها من الإنسكاب أو التحليق فى أرجاء المكان.

عندما نظرت الى الجهة الأخرى.. كانت هى هناك تنظر إلى اللوحة المعلقة على الجدار.. كان صمتاً للحظات كأن الكون توقف عن النبض بعدها سمعت صوت صهيل ذى صدى ذهبى الرنين ، تلفت حولى لأستوضح الأمر.. لاشىء ،.

كانت هى أيضاً تبحث عن شىء ما .. ثم نظرنا كلٍ فى إتجاه الآخر..

عندما تحدثت شممت رائحة البحر ورأيت «بيجاسوس» للمرة الأولى .. يلهو بعينيها .. يرقد على شفتيها كومضة ضوء صغيرة .. ثم يتهادى بخيلاء فى خصلات شعرها.. يكبر كفقاعة تحتوينا معاً.

تنفجر الفقاعة .. نولد معاً من جديد.

الزمن لم يعد كما كان ، العقارب ذابت كقطرات تتساقط

العالم يتبدل.. ينبت كوخاً صغيراً يسعنا معاً.. ابتكرنا لغة جديدة تختلف عن كل اللغات ورموزاً وحروفاً أشبه بأزهار القرنفل الندية المزروعة فى قلب السحب.

تحادثنا . تحاورنا .. خرجنا مرة أخرى للعالم.

منذ ذلك الحين «وبيجاسوس» يحيا معنا .. يحاورنى كصديق.. يوصل رسائلى إليها ورسائلها الىّ .. يقترب اكثر منى فى تودد ، أربت على.. وأحياناً يسمح لى أن امتطيه فيأخذنى فى رحلة مسائية .. طائراً بى إلى عوالم جديدة غير معلومة .

وحين ينفلت زمامه نتيه معاً فى ظلمات بعيدة ، غائرة العمق ، لا ينقذنا منها سوى الإسترشاد بعينيها المتلألئتين فى صمت الليل الكثيف.

ذات مساء أخبرنى «بيجاسوس» أنه يجب أن يرحل فهو ليس من هذا العالم وعليه أن يعود الآن الى فقاعته فى عالمه الآخر

حزنت – «فكيف لى الآن أن أتخلى عنك من سيبعث برسائلى ومن يصحبنى فى المساء فى رحلة عبر الألوان الكونية» ..

ورغم حزنه كان عليه أن يرحل ..

فأهديته بعضاً من نبضى .. وأهدانى جناحيه.



مابين الحلم والأسطورة

مابين الحلم والأسطورة

كان البحر فى تلك الليلة ساكناً ليس كطبيعته ، مترقباً ، عيناه دامعتان .

يبغى الإفصاح عن حمل ثقيل، زاده الليل شجوناً.. يلقى بأطرافه المترامية فى أحضان الشاطىء . يعود ما يعود وينكسر البعض على الصخور الرابضة فى صمت.

إستلقيت على ظهرى فوق الرمال الرطبة، نظرت للأفق البعيد.

فى السماء جلست كعادتها، مضيئة ، متلألئة ، خافتة ، داعب النسيم أطراف ثوبها الأبيض الشفاف. تنظر إلىّ دائماً فى حب غامض سرمدى.

مددت يدى إليها.. بكت فى صمت.

– هل ترقصين معى الليلة ؟ أريدك الليلة؟

لم تجب .. رنت ببصرها بعيداً كأنما تخاطب مجهولاً.

– أريدَك .. ولا أستطيع .

- مدى يدكِ .. لامسينى.

تمد يدها .. أريدك أنا أيضاً .لكنى لا أستطيع

تختفى رويداً.. رويداً، لم يبق سوى وميض عينيها الدامعتين

تسقط دمعة فى البحر، يزداد هياجاً، يناطح الصخور فى عناد.. ولم أعد أراها.

نهضت .. تملكنى غضب جامع.. صرخت.

أقاتل من ؟ الزمن .. الرغبة .. الحلم .. أقاتل مَن ..

ألقيت صرختى لقلب البحر ، تغير لونه الى لون أبيض زجاجى ..تجمد.

سرت فوقه .. ناشدتها.

يا ..

ياجميلتى.. لا تصمتى

اعطينى قلبك أو خذى قلبى

إمنحينى بعضاً من حكمتك وجنونك

لا تسدلى جفونك

الليل بدونك ..

صمت أسود

دعينا نتوحد كالموسيقى، نمتزج كالماء.

دعينى أستحم بعينيك ..

اتداعى .. أنفجر.. أستحيل قطرة ماء على شفتيك.

أجيبينى.. أجيبينى لأستريح..

لا يأتى الرد سوى نغم سحرى غامض.. غير مفهوم.

مددت يدى لقلبى .. أخرجت فرشاتى وبدأت أرسمها على صفحة الماء.

«الحلم .. الترحال .. السحب.. زهرة الأساطير.. مارس.. صوت العصافير.. سيمفونية.. جزر وردية.. خليط ألوان.. أمطار الصباح الباكر.. هتاف الأشجار.. همس.. رقصة شهر زادية.. ثوب أسود شفاف.. قلق.. رغبة.. حزن.. جنون.. حياة..» إكتملت اللوحة، تحركت، نهضت.

رنت إلىّ فى عشق ورهبة

– لماذا ، استحضرتنى الآن؟

– أريدكِ.

– أنا معكَ .. لكن لا أستطيع البقاء.. يجب أن أرحل..

– أحبكِ .. هل ترقصين معى؟

– أحبكَ .. لكن ..

– أترقصين معى اليوم .. اليوم أجمل ما فى العمر.

تراقصنا ، ضممتها الى بقوة ، تشبثت بى وبكت

زمجرت صخور الشاطىء، همهمت، إنتفضت ، تنفست، بدأت تستقيم كبشر ، تحولت الى جيش من الصخور المظلمة، شهرت أسلحتها من بعيد وأخذت تقترب وهى تزوم وتزأر.

جميعنا على صفحة الماء. أنا وهى فى مواجهة جيش الصخور.

قالت فى ثقة .. إمسك يدى.

أمسكتها ، ذابت ، استحالت سيفاً مضيئاً.

إقتربوا .. إقتربوا .. حاصرنى وهم يهمهمون ، يدمدمون كالوحوش وعندما بدأ الهجوم طار السيف فى وجوههم ، تناثرت الصخور فى كل صوب إبتلع البحر أشلاءهم والبقية عادوا جرياً وقبعوا فى صمت يئن.

رعدت السماء، وجاء صوتاً عميقاً من هناك.

– أنت .. ياإنسان كيف تحب الآلهة وتلامسها ؟ لا زواج بين إنسان وحلم ، اتركها تعود. لقد إرتكبت إثماً كبيراً لا يغتفر ، قد يكون الموت جزاءك عن فعلتك .

– أنتم تعرفون كل شيء، تعرفون من أين تولد الرياح والأعاصير.. ومن أين تخرج الأمطار.. ألا تعرفون الحب..؟

– أصمت .. نحن نعرف كل شيء.. يجب أن تتركها تعود.

– لن أتركها.. إقتلوني أولاً.

تحول السيف الرطب الى شيء هُلامى أصبح طائراً فنسيم غلفنى.. توحدنا .. أنا .. وهى.

جاء صوتها الرخيم من داخلي وحولي.

– الآن لا تستطيعون قتله لم يعد انسان ولم أعد الهة. فهو الآن نصف إنسان ونصف إله وأنا نصف إله ونصف إنسان.

سأترك لكم سماءكم وأحيا بداخله.. الآن توحدنا.. أصبح النبض هو النبض والقلب هو القلب.

أرعدت السماء وأبرقت .. زاد الزئير حدة وإختفت الكلمات فى شبه حروف غير مفهومة.. ثم صمت طويل.

– هل هذه لوحة جديدة لك؟

– نعم .. هل تشبهك؟

– أشعر بهذا.

– هل ترقصين؟

– إغلق النور أولاً.

– لماذا.؟

– أخجل من أن ترى جسدى العارى.

– أحب أن أراه .. متلألئاً كالسيف، هادئاً كالليل، ثائراً كالبحر، أعشق الترحال فيه.

– مجنون.

– أحبك .



إمـرأة زرقاء

إمـــرأة زرقـــاء

خلف أستار الليل تربض هواجس هلامية تزأر من خلف القضبان الليلية، تتطلع للفجر القريب على الأبواب.

وأنا أسير على الشاطيء وحدى..بينى وبين البحر حكايات طويلة، كلما إقتربت إبتعد الليل، أهبط فيصعد الخوف إلى الأعماق، لليل صوت هامس، وأجنحة خفية تزيد الوحشة فى القلب، أقف وجهى للبحر وظهرى للمدينة النائمة فى سكون مميت، وقدماى مغروستان فى الرمال الرطبة.

أما هو فقد كان ساكناً، شاحباً، فقط يلقى بأطراف ثوبه الشفاف مداعباً شواطئه المرة تلو المرة كأنه يهدهد الرمال كى تنام إلى أن يحضر الصباح.

أفرد قماشى الأبيض على صفحة الماء.. أخط وجهها الجميل على وجه البحر.. جسدها المندى، المرمرى، وثوبها الشفاف بلون زهر القرنفل الأبيض، عيناها اللامتناهيتان، شفتاها الأرجوانيتان.. ووجهها الذى طالما طاردنى فى أحلامى الملونة.

أتأملها فى خشوع يهدهدها، اهتزاز الماء القنوع فى حرص شديد..

أكمل رسمى..

يكتسى جلدها باللون الأزرق النابض، الدافىء.. فى عينيها تربض ريح متنمرة، ترفض السكون، تعشق الترحال الهامس.. وجهها المستدير لا يهدأ، يجوب كل مناطق الحلم والعشق، وشعرها السابح فى فضاء لا نهائى يلقى بخصلته على وجه القمر البعيد الباسم..

يتلون مثل طائر فى الأفق تكسوه أسراب السحب.. زرقاء..بيضاء.. صفراء.. أرجوانية.. لازوردية.

تخجل من ألوانها .. تتدثر بالوهم وبقميص لا لون له. تواضعها يمنعها من الكشف عن كل ذلك العشق الملون.

أو تكتفى بهذا لأنى رجل يعشق بجنون، ينسى إنه إنسان وينام فى حضن الأساطير.

رويداً رويداً تتلاشى ملامحها كامرأة من الطباشير، تتناثر ألوانها لتملأ المكان، تحوطنى من كل إتجاه، تحاصرنى من الخارج والداخل.. فأسبح معها الى مالا نهاية.

يتوتر سطح البحر بأمواجه حتى ينفجر فى الصراخ.. يقذف بهديره فى كل صوب.. يبلل ثوبها، ووجهها الشفاف تتقاذفه الأمواج .. تئن أجنحة السماء ويسطع برقاً بلا صوت لكنه ذو رائحة كالبخور.. تتساقط الأنغام

من بين سحابتين ، أسماك تحلق فى السماء، وطيور تستحم فى هدير البحر.

وهى فى قلب العين خيالاً .. خليطاً مابين الحلم والأسطورة.

تبتسم .. مثل الندى الساقط على أكف الأشجار .

تتهادى .. مثل حمامات الفجر المتسربلة بالضوء.

تتماوج .. مثل خيول الأساطير السابحة فى فضاء الكون .

تختفى وتظهر مع وميض الأفق البعيد الساحر.

تتبدل الألوان وتنطلق من حولها فى كل صوب مثل وهج موسيقى يملأ حنايا القلب والأرجاء.

تدور الألوان كدوامات..تستحيل لفقاعة ضوء كبيرة تنفجر ليخرج منها طائرملون..

يسافر بعيداً.. ويختفى وسط السحاب..



البدائى

البــدائي

عندما تبدأ جدران الصمت الأسود في التلّوّي، تحاصرني صرخات الماضي البعيد، وأنياب متوحشة لأيام عرجاء تأتي حاملة زاد السفر من سم زُعاف وخبز متعفن وبعض الأحلام الوليدة.

أسير في طرق أضيق من جسدي، تتشقق الأرض الخاوية من تحت قدمي، تتيبس أطرافي يأسا، يدب العجز في أوصالي، تحوط رأسي سحابات سوداء تفقدني القدرة علي الرؤية لكني سرعان ما أخلع عني أثواب يأسي ومدنيتي وصخبي وتيبسي.. أفرد أوراقي وأجنحتي.. أجمع ألواني وألملم قوتي، أستجمع قواي وأبدأ التحليق والتحديق الي غابات تنبت خرافات وأساطير تسبح في ألوان من الوهم والعشق أعود كما كنت بدائياً في عالم أسطوري، لا أرتدي سوي أوراق التوت وبعض الأحلام.. أتدثر بدفء عينيك.

عشقي للكتابة لاحدود له، إن ارتوائي وتطهيري لايكون إلا في معاناتي وأنا أكتب، فشق الفجر علي الصفحات البيضاء وزرع الطيورعلي صدرها شيء لا تساويه أية متعة أخري.

الكلمة هي خطيئتي الأولي.. مع عذاب الحرف الأول تولد آلام المخاض العسير، تفاحة آدم ليست بلا ثمن.

الحرف ينثر حروفاً، الكلمة تزاد صراخاً، تنفجر سطوراً ، في المرة الأولي ذهبنا الي شـجـرة الخـيـروالشـر..كنت أعـرف وكـانت تعرف،أهديتهاثمرة، فأكلت وأكلت هي أيضاً ولم نشعربالعُري لأن اللون اللؤلؤي قد كسي كل شيء دفئاً وحروفاً ونزلنا الي الأرض وكان كل شيء بكراً.

مع كل صفحة تقلب في كتاب تبدأ أغصان خضراء في الإنبثاق والتلوي، تزدان المدن بعطر الأحلام، تنبثق من بين فخذي الأرض الخصبة.. الأيام الآتية من بعيد متسربلة بثوب لؤلؤي الأهداب فضفاض بطول الزمن .

ابني معابدي علي ربوات الأرض اليابسة ، أرفع ذراعيّ لقرص الشمس الباصق أذرعته تكسو جسد الأرض بلون برتقالي ألملم فتاته لأصنع منها تميمة من ذهب نقى وخرز أزرق في نهايتها عين حورس الأبدية، التي يرقد علي حاجبها ثعبان هاديء.

وعلي قيثارة تئن نغماً تعزف هي علي أوتار الريح الدافيء الرابض علي صدر الكون العاري.. الأنثي الساخنة والأيام.. جسد رجل ورأس ثورة.. لحناً طويلاً بطول الزمن الواجف.. المبصوق علي الطرقات..

القلم المملوء بمداد أسود يخط أحلاماً بيضاء، تملأ الصفحات صراخاً وعذاباً.. أطفالاً ونساءً.. وتاريخاً طويلاً.. الكلمات تتوالد.. تتفجر ..

تتحرك، تصبح عالماً جديداً ووجهك المرسوم بقلبي. أخرجه، أخطه علي الورق أمامي، أحاكيه عذابي وشغف الكلمات واللون.. يبتسم في حنو، ألثمه، أضمه الي صدري.

مابين صراخ اللون وصمت الظل مسافات أسطورية أعبرها ممتطياً صهوة الأحلام والرغبة الجامحة في الوجود. للون صديً جامع يسيطرعلي الجوانح، يصهل في عشق الفجر الرمادي والقباب الزرقاء، يتلوي كأغصان وهم وارفة علي أذرع الكون البهي.

الضوء الأصفر.. الأبيض.. الأزرق.. البنفسجي يكسو نبض القلب.. يغمر شراييني.. ينسكب علي الصفحات.



شمس الليل

شمس الليل

فى هذا الوقت المتأخر من الليل الجميل السارى فى عمق الزمن – أشعر أن حياة الإنسان أبدية ،ومتعة الخلق لا تعادلها متعة .

قصاصات الورق الملون والأحبار المبعثرة ، عواطف وأحاسيس مسكوبة على الأسطح الملساء.

تتفصد جوانح الكلمات، تتشتت الصور فى رأسى، تتهشم، تتحول لفتات مشاعر وأحرف غير مفهومة ، تتجمع فى عقلى، تتحاور، ينجذب كل منها للآخر.. تصنع عوالم جديدة .

ينزف قلبى آلاف الطيور والمقطوعات وآلاف الأحلام الرقيقة، الأشياء والأشكال تتحرك فيما يشبه دوامة .. تتلاشى وتظهر.

أفقد القدرة على التركيز .. وعلى إيضاح الأشكال، تتعالى أصوات فى رأسى، أشعر بثلوجة أطرافى، يدب احساس العطش والبرودة فى صدرى، يقترب الليل من نهايته، تنداح العتمة والبرودة فى أنحاء الغرفة الصغيرة. أجدنى فاقد القدرة على الرؤية بوضوح، تتقلص أطرافى، تضمر أجزائى، أشعر بألم فظيع، أتلوى على الأرض، يلتهب سطح جلدى، أتمزق، يبدأ الريش فى الظهور يملأ بثورى ويغطى جسدى

الممدد، أنتفض، أرفع عنقى للهواء، أنظر للخارج لقلب الليل الحزين، تملؤنى رغبة التحليق. أدور فى دوائرمغلقة، أتخبط فى جدران الحجرة الصغيرة، اتجه للنافذة، أخرج للأفق..أُغرد، أصيح، أصرخ..فى جوف الليل.

أفعل كل ماأبغى ، أبحث عن اللوحة المفقودة.. الأشكال .. الألوان ..الخطوط، أظل هائماً فى حلم اللون اللا موجود والشكل الساكن فى .. أبحث وأبحث برفقة الليل الحزين والنجوم المتثائبة والألم الحزين القابع فى رأسى.

أعود متعباً أنزف أعواماً لا تحصى، أعود مرة أخرى عبر النافذة، أسقط من أعلى، أجلس. أستقيم .

أعود كما أنا..بلا تحليق وبلا معنى.

أضع رأسى بين يدى وأبكى كطفل مرعوب خشية أن يُفقد. وما زال صوت النسيم فى رأسى، لا أعرف كيف أخرجه على الأفق الممتد أمامى، أحاول أن أمد يدى الى قلبى علنى اتمخض تلك الموسيقى المبتورة من جوانحى.

أطأطىء رأسى .. شعرت ببعض الهواء البارد يتسلل إلىّ فى تيار خافت، أرفع رأسى لأنظر..

وفجأة ..

يسطع ضوء مبهر يغمر كل شيء، يقتحم النافذة مع صوت حاد، تنسكب الألوان فى جداول جارية .. تندمج معاً كأخادير بركان، يتلاشى كل منها فى الآخر.. تتبعثر الأقلام والخطوط، تتطاير الأوراق فى كل صوب.

أماأنا فأسقط على وجهى وسط الألوان..يستحيل جسدى ونبضى إلى فقاعات ملونة، تنداح فى نسيج الألوان السارية، تذوب بها.. تتناثر كأوراق الخريف تزورها رياح الأيام.

يخفت الضوء..

يتلاشى الصوت..

يهدأ كل شيء، ويستكين ثانية .



المهرج

المهـــرج

كنت أعتقد فيما مضي أن المستحيلات ثلاث .. الغول والعنقاء والخِل الوفي.

إلا أن اليوم المستحيلات أصبحت أكثر من الممكنات.

المستحيلات .. جزءاً لا يتجزأ من حياتنا .. أصبحت .. الغول والعنقاء.. الخبز النظيف .. الزواج .. الترحال .. السلام .. الحياة الكريمة .. الحرية .. والخِل الوفي.

أعرف معني نظرتك تلك .. من المستحيل أن تعرف وتشعر بما أعانيه ، لكن لا مانع من الحديث معك . فأنت الوحيد الذي يعرفني جيداً، يعطف عليّ، تدرك إلي أي مدي أنا أحب.

هل من الصحيح أن المهرج .. حتي لو كان مهرجاً من حقه أن يحب، يبكي .. يفكر ..؟

أنظر .. أنظر لي .. سأسير الآن أمامك علي حبل مشدود في الهواء، سأتمايل يميناً ويساراً مدعياً التعثر ، هذه اللعبة يفرح الناس بها ، تعجبهم .. سأحاول أن أكمل الطريق للنهاية ، هذا لا يتوقعونه ، ينتظرون سقوطي في أية لحظة فهم يتوقعون إنني لا أجيد عمل شيء.

فأنا مهرج.

أحياناً أسقط من فوق الحبل بإرادتي من أجل إسعادهم..

ها .. ها.. هاااي.. سأقوم ثانية أقفز كالقرد .. والآن سأعزف لك مقطوعة موسيقية جديدة.. أين الكمان ..؟ إنها من تأليفي ألا تصدق..؟

إستمع.. ولا تحاول أن تسألني عن المعني ولماذا .. إنها مجرد نبضات قلب حزين ، مبتهج ، صاخب، حائر ، متردد ، يحب .. إنه القلب ياعزيزي..

هناك فى ربوع بعيدة.

فى قلب الإنسان عوالم خرافية غير معلومة ،

نبض القلب أكثر حكمة فى كل قوانين العالم.

إسمعها ، افهمها بقلبك.. سأعزفها مرة أخري من أجلك

إن الموسيقى تجعلني أحلق لعالم آخر بعيد كطائر .. أضحك كطفل إفتقدته .. لولا إنني يجب أن أصمت فجأة أو أقطع أحد الأوتار من أجل إضحاكهم لإستمررت فى العزف إلى ما لا نهاية.

رغم إنك مجرد دمية لا تتحدث إلا أنك أنت أيضاَ تحمل روح المهرج

إننا نعمل معاً منذ سنوات طويلة نضحك الاطفال والكبار .. أنا المهرج وأنت الدمية الصغيرة ، صديقي الوفي.

تعرف أنك جزء مني ، أنت الأذن الصاغية لي ، كل إنسان يحتاج الي أحد يستمع إليه ، يروي له أحلامه، آلامه ، أى أحد ، أي شيء حتي لو كان هذا الشيء دمية مثلك.

أشعر إنك تحمل قلب مهرج .. قلباً أبيض ، نقياً ، يحب ، لا يؤذي أحداً رغم إن جميعنا يحب أصدقاءه ، أحباءه ، أقاربه ، لكن من يحب الجميع علي السواء. الذين يحبونه والذين يكرهونه.

ما ثمن ابتسامة طفل فى اعتقادك ؟ ما ثمن إسعاد إنسان ؟ أي إنسان.

إنتظر لحظة سأحضر حمالة هذا السروال المتسع .. إنه يسقط مني.

أكمل وضع مساحيقي وأعود إليك .. لا تعال معي أفضل،

اجلس هنا علي هذا الحامل .. ما رأيك ؟ سأحاول الليلة أن أزيد اللون الأحمر أسفل عيني أم أجعله لوناً برونزياً ، هذا يخفي آثار الحزن والإرهاق هذه الليلة.

المهرج يجب ألا يبكي ، تظل الإبتسامة مرسومة علي شفتيه للنهاية ..

سأرسمها هكذا كي يراها الجميع.

لا تقلقوا .. سأضحك لكم الليلة وكل ليلة .. لا تحزنوا .. المهرج قادم .

سأتعثر في حذائي الكبير وسروالي المتهدل ، أسقط على وجهي لا أعرف لما يضحكم تعثري..؟

لكن ضحكتكم تحييني .. تنسيني طعم البكاء والحزن ..

أحتاجكم كما تحتاجون إلى ..

«صوت الموسيقى يصدح»

إنتظروني ..

أنا قادم إليكم .. المهرج قادم ..



الطائر والهدير

الطائـر والهديـر

التجربة الأولى للطيران كانت صعبة ، والتجربة الثانية أصعب

المعرفة قد تزيد الطائر خوفاً من التحليق ورغبة فى الإرتفاع أكثر.

كان البحر ليس ككل مرة .. هائجاً ، مائجاً ، قبلاً كان صديقى؛ أحبه هادئاً .. فهل يعرفنى الآن؟

الغضب يقتل الأحاسيس.. وخاصة الحميمة منها.

* كانت المرة الأولى لى أن أواجه الريح وذلك الهدير المفزع .. المتعة، الرهبة، الخوف من السقوط، الأمواج لا ترحم العصافير الصغيرة.. تمضغها ثم تلقى بها على حافة الشاطىء الرملى الدافىء، اللزج، الساخن، المتغير.

عندما هممت بالطيران فى المرة الأولى . كانت يده الدافئة تحتوينى، الخوف انكسر بعض الشىء.. أعرف أن السقوط فى يده أرحم من مواجهة البحر وحدى.

البحر صامت، مهمهم، ليس له وجه.. فقط رائحة السقوط وطعم المجهول

تعودت الطيران ، لم تعد هناك مشكلة ، أصبح ذلك شيئاً آليا. أفعله كل

يوم ، لكن المتعة باقية الى حد ما، **لم أتعود أن أمل الأشياء التى يجب أن تظل جميلة** فالسماء ليست ثابتة كما يعتقد البعض.. فى كل يوم .. فى كل لحظة تتغير ، تتبدل .. هذه طبيعة الأشياء.

أنظف ريشى، استعيد بذاكرتى محاولة الطيران الأولى كلما هممت بالتحليق، أضحك من خوفى الأول وسذاجة طائر خلق كى يطير . زادت أجنحتى اتساعاً ، فى ندى الصباح أفردها كى أتذكر أننى مازلت طائراً ولم تحولنى الأضواء والضجيج الى كائن يطير ولا يعرف مغزى تلك المغامرة اليومية الجميلة.

* ذلك اليوم الجوع طاردنى، داهمنى كليل البحر الدامس، صفير الشتاء البارد أيضاً أزعجنى، إضطررت للرحيل.. العش دافىء، لكن الجوع متوحش.

وعندما أصبحت فى قلب النهر داهمتنى العاصفة، حاصرتنى من كل جانب.. الصقيع، الرياح، الهدير..

شلت أجنحتى للحظة، سقطت فى الماء البارد فارتعشت وانتشيت أيضاً، مسنى جنون الخوف من الغرق وحب البقاء.

اكتشفت أن حب البقاء أكبر من متعة الطيران نفسها، إرتفعت قليلاً عن سطح الماء، الريح دفعتنى ثانية للسقوط، تخبطت مابين الصعود

والهبوط، قاومت الريح وأدركت فى حينها أن مقاومة الريح متعة مؤلمة.

وصلت للشاطىء بصعوبة، رقدت للحظات أتنفس فى عناء، نفضت ريشى.

تجربة الإنتصار أيضاَ تستحق المغامرة، شعرت أيضاَ بنعومة الماء على الريش ومتعة البلل.

من يومها إن لم أجد ريحاً أحاربها .. أعشق الاستحمام فى هدير البحر.. دون خوف.



المربعات

يأتى الندى ساحراً، مختالاً فى الصباح الباكر ممتطياً صهوة الأحلام يبدأ هو أيضاً فى النظر للخارج.. السكون مازال يملأ أركان الكون ، يدخل رأسه بين جناحيه، ينكمش ، ينزوى بجانب الحائط المعدنى الممتد فى رتابة .. ويستكين..

* أضع رأسى تحت خيط المياه غير المنقطع، تنساب خيوط الضوء الى داخل رأسى وأشعر بإنتعاش، أحياناً أشعر إنى أسعد إنسان على وجه الأرض.. وأحياناً أخرى تقتحمنى هموم مجهولة ليس لها لون ولا طعم ولا سبب . فقط هلامية.

المياه تساعد على إزالتها.

أقف امام المرآة لفترة طويلة وبسببها قد أتأخر عن عملى فقد إعتدت أن أتحدث الى نفسى، أحاول معرفتى، أتصادق معى.

أحلق ذقنى بسرعة. العمل يتطلب هذا.

لا أنسى أن أطل عليه فى قفصه الحديدى الجميل، أصفر له ، ينظر إلى

ويبتهج .. يعرفنى منذ سنوات، نعيش معاً فى نفس الحجرة نأكل معاً.. نشرب معاً.. نقضى وقتاً طويلاً نتحادث، نتجادل أحياناً أراه كإنسان يفهم وأحياناً يرانى كطائر مثله.

* المبنى جميل، نظيف الى درجة البرودة ورأسى ساخن، الحركة البطيئة تزعجنى.

يبدأ يومى المعتاد فى العمل – منذ أن تعلمت أن أكون موظفاً – بتنظيم القاعدة، إنتظاراً لوصوله، وأسأله .. «هل اليوم تريد اللعب باللون الأبيض أم الأسود..».

أنا نفسى أحب اللون الأزرق.. يشعرنى بالإنتعاش.. بالقدرة على التنفس والبقاء.

مديرى فى العمل دائماً يحصن نفسه بفيالق أكثر مما تحتملها الطاولة وقد يثور فينقلب الدور.

فى العادة أحب اللعب باللون الأبيض، مستسلماً وبغباء هجومى كبير أسحب الحصان، أمتطيه على المربعات المتراصة، لا أحب السقوط فى المساحات السوداء كثيراً، إنها تشعرنى بالضيق. الظلام الحالك يمتد ليخنق مساحات الضوء فيعجز الحصان عن الحركة..

افتح الطريق للفيالق،

يهاجم هو من الخلف، أصر على الهجوم للأمام.

ألعب بدون خطة، لكن بذكاء والعيب الأساسى أننا نملك وزيراً واحداً محايداً،

عادة ما يستخدم هو الهجوم الجانبى الخاطف.

تعودت أن أقرأ أفكاره وهذا يدفعه للجنون.

قتل لى الطابية وأنا حتى الآن. استهلكت أغلب فيالقه

* أعود الى المنزل مرهقاً من كثرة اللعب وتأنيب نفسى فلم يتسع الوقت للعب والعمل.. ألقيت ملابسى فى كل مكان من الحجرة.. متعب، رأسى تكاد تنفجر.

لكنه كما هو مغرد تعتريه حالات من القلق المفاجىء، تتخبط أجنحته فى سقف القفص وحوائطه، أجنحته أصبحت أكبر مما يحتمله هذا القفص الصغير.

سامحنى ياصغيرى على أنانيتى نسيت أن أطعمك.. اليوم تأكل أنت أولاً، كما إننى لا أشعر برغبة فى الطعام الآن.

كُل أنت.. لا تنظر إلى هكذا ولا تحاول لومى.. أنا لم أستطيع الفوز أو

الهزيمة.. كيف أفوز وهو يلعب لنفسه ويلعب لى أيضاَ، لا أملك صنع قراراتى، خططى مبتورة، أجنحتى لا ترفرف مثلك.. وأنت..

إمتدت يدى رغماً عنى نزعت باب القفص، حطمته، فتح الباب والمدى له ..

إنطلق .. طر .. هاجر .. لا تعد..

ولا تنظر للوراء..



المومياء والقناع

المومياء والقناع

داخل شراييني تسبح كائنات هاجسية، تتشكل بأشكال لا حصر لها

أحياناً أصادقها وأحياناً أخرى تهاجمني، لا يمكن التنبؤ بها.. تزحف الى رأسي ، ثم تنفجر من حولي تخرج مثل صور مهتزة لنفس ملامحي وتكويني.. تنفرط؛ تتجمع ، تتبدل، تحاصرني من كل جانب كهزة كونية.

ذات مرة حينما جلست الى مائدة الطعام خيل الى أن شخصاً آخر يجلس الى جواري، حينما التفت اليه لا أجده. حاولت ألا أنظر في إتجاهه..

لكنه موجود بالفعل، أكاد أشعر بأنفاسه تتلاقى مع أنفاسي في سقف الحجرة. استجمعت تركيزي محاولاً معرفة ملامحه التي أكاد أراها قبل أن تختفي مثل ومضات خيال هادىء يمر.

ملامحه ليست غريبة على. غير أنه ليس إنسان كان له وجه بلاستيكي الإحساس كقناع جامد يخفي به ملامح وجهه الحقيقي

وهذا القناع الاصطناعي يبدو مألوفاً لدي.

ظل هذا الشبح ذي القناع يطاردني بين الحين والحين.. في عملي..

فى أوراقى، فناجين قهوتى، وترحالى وحواراتى مع الآخرين كان هو دائمـاً فى الوسط يحـاول التـصنت والايماء لـى برأسـه كـإنما يوافـقنى أويعارضنى، حتى إننى قد بدأت استأنس برأيه وأبحث عنه مثلما يبحث عنى ولم أعد أراه شيئاً غريباً ، إذ أصبح جزءاً من تركيبتى وعاداتى، ولا أحتاج الى إستدعائه فهو موجود أينما وجدت.

.. يسعى للبقاء

لم يعد هذا كل شيء فقط .. ظهرشيئاً جديداً.. أو قديماً.. لا أعلم.

شكل آخرطاردنى .. جثة ملفوف بأقماط كالمومياء .. ولا أعرف أيضاً لماذا أشعر إن تلك المومياء تحمل نفس مقاييس جسدى وتركيبتى ولا يظهر منها سوى العينين ومن المؤكد إنهما تشبهان عينىّ تماماً.

لكن ليس هذا هو السبب الحقيقى وراء إحساسى إن تلك المومياء شخصاً أعرفه.

إحساس داخلى غامض هو ما يبعث ذلك الشعور فى.

لاحظتها للمرة الأولى عندما كنت أعبر الطريق فكادت سيارة أن تقتلنى، تفاديتها فى آخر لحظة.. كان هذا الشيء على الجانب الآخر من الطريق صامت بالطبع، لكنه ينظر الى فى ترقب وينتظر . فقط ينتظر..

ضايقنى هذا فى البداية . وتكررت مثل تلك الحوادث المشابهة وكان هو دائماً فى تلك اللحظات يظهر وينظر فى ترقب مميت . حتى خيل إلى بالفعل أنه يتمنى موتى.

وأصبح يظهر لى فى أغلب الأحيان . أما هذا القناع أو تلك المومياء وأبداً لا يتقابلان.

إلتقط عقلى الصورتين معاً، يتصارعان فى عنف وصمت ، يتحولان ويتحاوران معاً بلغتين مختلفتين .. وأكون أنا فى الوسط.. أقصد فى الخارج .. أو الداخل .. أو..

استجمعت كل تركيزى وحاولت أن أرسمهما معاً فى لوحة واحدة.. حاولت أن يكونا كيفما رأيتهما فى كل الحالات والتغيرات التى تطرأ عليهما، أن أجمعهما وهما لم يجتمعا.. ربما رغبة منى فى الوصول الى ماهيتهما.

وعندما عرضت اللوحة على أصدقائى لم أخبرهم ماذا بغيت برسمى..

إلا أن جميعهم أجمعوا على إنها..

ملامح وجهى.. نصفه تغطيه ظلال كثيفة.



الوصايا العشر

الوصايا العشر

* الوصايا العشر

«لا تقتل ...

لا تأكل .. لا تشرب .

لا تحب .. لا تهرب .. لا تغضب

لا تسمع .. لا ترى .. لا تتكلم .. لا تتنفس ..!!»

* كان رداء الخوف يلفها ، ترتجف الكلمات فى هدوء مميت لكنها تنفيذ للداخل فى حنان صامت ، واجف ، قاتل .

ترتعش عيونها وأصابعها تعزف لحناً خافتاً مزيجاً مابين الحب والقلق .

شممت رائحة العاصفة .. شيئاً ما يتبدل ، يتقوقع ، يحاول الخروج ..

الخروج من الحياة هو الموت

الخوف من الموت يدفعنا للموت

الخوف من الحياة .. الخوف من الحب وعليه !

أيهما نبغى أن نكون طائراً بلا أجنحة أم أجنحة بلا طائر

طائر بلا أجنحة .. طائر عاجز

أجنحة بلا طائر .. مجرد ذكرى محنطة

سألتنى

– إلى أين نحن نسير ؟ حقيقة أم مجرد حلم ؟

هل حبنا .. هل ... وهل ... وهل ....

– صمتاً حبيبتى ورحمة بى .. أكره الأسلاك الشائكة وهى تغتال الحرير الأخضر .

أكره الزهور البلاستيكية ، ورائحة الندم ، وخدش الحلم الأبيض اللؤلؤى .

أخشى السقوط فى جعبة أسئلة لا عودة منها ..

أخشى أن نخدش ألوان اللوحة بأظافرنا .

ماذا بعد الحياة .. خدرٌ جميل وحب لا ينتهى .

ماذا بعدك .. لا شىء .

لاشىء من بعد عينيك .. خواء وصمت لا معنى له .

** لو كان حبى لك خطيئة ؟

لكان هذا الكون سراباً أحمق ، والحياة درب من دروب الجنون ..

لكان الحلم والأساطير جريمة ..

ولكان الشعر والألوان والموسيقى وهماً ..

لكان الشجر والطير والنسيم مجرد خدعة ..

تسألنى ثانية

– لكن الآخرين ..

– الآخرون اغتالونى .. حاولوا قتلى مراراً .. طالبوا برأسى .

الآخرون اغتصبوا أحلامى

سرقوا عمرى

أشعر كل ليلة أنى أغتصبت لأنك لست بين ذراعىّ

والآن أشعر إنى أحارب نفسى لا أرضى بسعادتى ، لا أرضخ لحزنى .. مابين الحياة والموت أتأرجح لا أحب الحياة كمقهور أبلة .. وأرفض الموت عاجزاً .. بعيداً عنك..

مازالت بداخلى آلاف الألوان تصرخ رغبة فى الخروج هناك ، وآلاف المساحات البيضاء تشتهى الارتواء

مازلت أراك تسبحين فى كل قطرة من دمى ، تتنفسين فى كل لمسة من الفرشاة ، فى كل دفقة موسيقى تنساب فى أرجاء المكان.

كنا نرقص – بلا زمن

كنا نتلاصق .. نتوحد، ننصهر ،

نتشكل كواحد جديد ليس من هذا العالم .

رغبة واحدة ، نبض واحد ، قلب واحد .. عقل واحد ...

واليوم مازلنا نفكر ..

– لكن حبيبى .. الآن ..

– «الآن» .. حبيبتى كان كل ما نملك

الماضى كان شبحاً يطاردنا .. والغد حلم .. والأبد .. رغبة جامحة فى الوجود .. «الآن» .

ماذا كنا .. وماذا أصبحنا .. الآن .

الآن .. أسألك باسم كل ما كان

لو لم يكن الله حباً .. فماذا يكون ؟

لو لم يكن الحب أنت .. فماذا يكون ؟

لو لم تكونى أنت .. فماذا أكون ؟

سألتِ أسئلتك

وأنا أسألك بدورى

هل أموت ندماً .. أم أموت بين ذراعيك

** أما هى فكانت عيناها قد رحلتا بعيداً ..

ربما كانت تبحث عن إجابة ..



زهرة الوهم الجميل

زهرة الوهم الجميل

* منذ عـدة أيام ونفس الحلم يطاردنى، ينتهـز الفرصـة حين أغـفـو ويتسرب الى دفـء رأسى، يلح على فى إصرار غريب.

وحين أصحو يكون قد ترك بين جنباتها صوراً متناثرة ، أحاول الإمساك بها على الورق، فتهرب أو تذوب مثل قطرات الندى الرطب الزاحف على زجاج الحجرة من الخارج . أراه ولا أستطيع الإمساك به.

* وجهاً طيباً ، متنمراً، تتناثر من حوله بقع لونية شفافة ، بلا حدود عيناها كطائر جميل يهم بالتحليق، يعشق أن يكون طائراً يخاف أن يترك الأرض ، جناحاه يرتجفان ربما يحاول إكتشاف قدرته كطائر ، ربما تكون نشوة المعرفة أو ربما نوعاً ما من الرقص البدائى.

عندما أحاول الاقتراب تتناثر الألوان والأشكال للخارج ، ينسحب كل شىء وتضيع ملامحه .. لا يبقى منها سوى بقعة ضوء تسبح كلؤلؤة معلقة فى الفراغ.

يدى الممدودة ترتجف ، تتغير ، يخرج منها برعم صغير يورق نبتاً جديداً .. أخضر ذا بريق جميل مبتل.

أشعر باستغراب وابتهاج ، احساس جديد يولد فى داخلى لم أعرفه قبل.

وقبل أن تتفتح الزهرة تكون بقعة الضوء قد رقدت فى قلبها ثم يتبخر كل شىء ويتحول الى صفحة بيضاء.. وصمت ذى رنين.

* صحوت ومازال ذلك الندى عالقاً بذهنى وذلك الدفء الغريب الرابض فى صدرى.. بعضاً من البهجة الخفية ممزوجاً بقلق الرغبة فى الاكتشاف أو التوجس من إنتظار الآتى .

أسرعت فاغتسلت وكعادتى نظرت فى المرآة أحدث نفسى ، لعلها محاولة دائبة كى أصادق نفسى قبل أن أخرج للعالم.

اليوم ١٤ فبراير .. تذكرت إنه يوم الاحتفال بعيد الحب.. ذلك زادنى ابتهاجاً ربما لأننى أبحث عما يبهجنى داخلياً.

إن أسراب الطيور الساكنة فى داخلى تعشق الرفرفة ، الهواء النقى المنبعث من الداخل يكسو وجهى فى جماعات تركض.

ذكرنى صوت العصافير فى الخارج أن أطل عليها مثلما أفعل كل صباح .. هى من نباتات الظل.. رقيقة، صغيرة، تبدو فى أغلب الأحيان واهنة لا تقوى على مواجهة العالم لكنها تبتهج.. أشعر بذلك عندما أربت عليها أو أعطيها بعضاً من قطرات الماء بين الحين والآخر، كما

إنها ودود تنام على راحة يدى فى سكون واستسلام كطفل غالبه النعاس.. لا تستطيع مواجهة الشمس الحارقة أو الضوء المبهر فهى سرعان ما تنزوى.

أضعها بجوار الباب الخارجى فى بقعة ظل كى أراها كلما هممت بالخروج من المنزل فى كل صباح.

اليوم أشعر بإبتهاجها ، كما إنها قد بدأت تزهر للمرة الأولى منذ تلك الفترة الطويلة.

* فى مكتبى جلست منهمكاً فى الكتابة .. سمعت صوتاً هامساً يخاطبنى، رفعت رأسى فوجدتها أمامى.. للوهلة الأولى لم أتحدث .. رغماً عنى كان وجه الحلم الطيب المتنمر ، أخذت الأشياء تتطاير من حوله كبقعة ضوء هلامية نصفه زهرة والنصف الآخر ليل دامس.

.. أخيراً استجمعت نفسى ولم أخبرها بما شعرت.. تحادثنا فى العمل وبعدها فى أمور أخرى كثيرة كأننى أعرفها وتعرفنى منذ زمن بعيد .. كانت تماماً كطائر الحلم الخائف.

شعرت إن الفرصة مواتية كى المس ذلك الحلم الذى طاردنى لكن فجاءة ، خرجت مهرولة كطائر مذعور.

مددت يدى إليها وهى تبتعد ، حاولت أن أصرخ لها أن تنتظر ، لم أستطع.

لم يخرج صوتى.. ابتعدت تماماً.

نظرت الى يدى الممدوة.. تذكرة الحلم ، انتظرت أن تورق نبتاً ولم تفعل .



رقصات شهرزادية

◎ تبدو في ثوبها الأحمر والأصفر مثل زهرة عباد الشمس، التي تمتليء زهواً وفخراً. ترفع ذراعيها ووجهها لقرص الشمس.. مع دقات إيقاع باهت ، يغمرها الدفء والنشوة ، يغلفها ذلك الشعاع الذهبي الذي يلقي بأطرافه علي جلدها الندي الذي يكتسي باللون.

تدق بقدميها علي الأرض كحصان جامح يبغي الإنطلاق في مراعي خضر شاسعة..بلا قيد..بلا أسوار.

تلقي بأطراف عينيها جانباً في نظرة مثيرة، تنظرالي جسدها الممشوق في ود وتعاطف.. تعلو الموسيقي في أرجاء المكان، رعشة أوتارالكمان، ودقات معدنة ذات رنين تصفق لها في ترديد حاسم.

تنتفض .. تسري رعشة في جسدها المشدود كالسيف..

وترقص، تنحني وتستقيم، تدور كالفراشة، تدب بأرجلها، وتلقي بعطرها عبر المكان المملوء بالنشوة.

يتطاير ثوبها وشعاعها.. وألوانها في كل صوب في شبه دوامة من خطوط وألوان متقطعة.. تتسع وتضيق حتي تصنع كرة من وهج يجذبها شعاع الشمس البرتقالي وهو راحل في المغيب..فتصعد هناك ليتوحدا معاً، ويختفيا معاً خلف خط الأفق الباهت..



رقصات شهرزادية

◉ مثل بلاطات مزركشة تتجمع معاً وتتلاصق الواحدة بجوار الأخري، كأن شيئاً خفياً يجذبها الي بعضها، ينطلق اللون في أرجائها، يتخللها كسائل يجري في عروق من زجاج شفاف، تتفكك كفقاعات وتتبخر.

تصعد للسماء حيث تغيب هناك لفترة، وعندما تهطل الأمطار تتساقط الألوان كمسحوق لامع، يبرق، يهبط علي الأرض المبللة، وتستكين في صمت صاخب.. تزروها الرياح، فتتناثر علي قطعة من قماش أبيض، تتلاصق ثانية وتتشكل في مساحات كالبللور المبدور علي وجه البدر المضيء.. يتلوي خط أسود، رمادي، أزرق باهت، مثل شرخ يجري عبر المسافات، يتشكل كامرأة باهتة الملامح، كأنها ترقص من خلف زجاج قندي، كروح هائمة في الوميض الشفاف الذي يغمر اللوحة.

تفتح ذراعيها، تحتضن الكون كزهرة سابحة في النسيم، نبضها كنبض الحلم الوردي المبدور بالقلوب الخضراء.. والأسماء..والرياحين .. والأمنيات والمساحات البيضاء.

مثل «هيرا» الراقصة في معبد الفجر.. تحسبها لا تتوقف عن الرقص ابداً.. في نشوة عارمة وخدر جميل، حتي تظنها كالسحب هي دائماً تأتي.. وهى أبداً لا تتوقف عن الرقص كحلم أبدي.

رقصات شهرزادية

ثلاث لوحات

⊙ على جدران الأفق الأزرق الساكن ترقد رسوم ونمنمات شرقية هادئة فى انتظام وإنتظار رتيب كسجادة موشاة بخيوط الفضة أوالخزف الأزرق والأطباق النحاسية المَحلاة بالضوء.

وعندما تخرج هى مع خروج النغم من الأوتار. تتهادى كهدير البحر، هامسة كهسيس أوراق الشجر الراقصة على الأغصان.

يطير الشال الأصفر الشفاف من يدها، ومن حولها، يلفها.. وذيل فستانها كموج البحر تتقاذفه الموسيقى، يهتز خصرها مثل رغبة محمومة تكاد أن تخمد أو تكاد أن تثور وتنفجر.

تخرج نمنمات الأفق عن صمتها.. تداعبها أذرع الموسيقى الحانية، تكبرالدوائر وتتلوى أغصان النمنمات الوارفة، تتحرك فى ابتهاج، تترك الجدران وتخرج عن صمتها، تلف جسدها الراقص، النابض.. كفروع اللبلاب.

تملأ المكان بعبق شرقى ساحر.. تتناثر.. تتفتت.. تتبدل.. وهى فى الوسط كمركز كونى يسبح فى فلكها الموسيقى كواكب لونية غامضة.

تتصارع خيوط الضوء اللامعة مع مساحات الظل الكثيف.. وعندما يطير شعرها من حولها سابحاً فى فضاء اللوحة تتفتت المساحات الى أشلاء صغيرة كضربات الفرشاة العجلة، المتوترة، النابضة،...

مثل صوت سابح فى فضاء كونى.

امـرأة زرقــاء

قصص قصيرة ملونة ولوحات .. لأمين الصيرفى

بقلم :

أبو همّام

عبد اللطيف عبد الحليم

لعل العــلاقــة بين فن الرسم وفن الأدب من أوثق العــلائق بين الفنون، خاصة إذا كان الأدب شعرا أو قصة، " يرسم بالكلمات "، ويلتقيان إذا أدركنا أن الكلمة مساحة فى الزمن، والرسم مساحة فى المكان، ويمتزجان حين ننحت من كلتا الكلمتين كلمة واحدة تدل على المكان والزمان معا، وإن كنا نستثقل هذا النحت نطقا إلا أنه واقع فنا . وربما يعود هذا الامـتـزاج الى عصور موغلة فى القدم حين كان الاسـلاف يكتبـون فنهـم الأدبى بـل ويمارسون حياتهـم " مصورين نحاتين " على الطريقة الهيروغليفية، فكان الأدب المعاصر

يقترب من الجودة إذا استطاع أن ينفث في كلمته " صورّها " القديمة ، ثم انفصلت الفنون دون أن يعنى ذلك القطيعة بينها ،ولعلها تجود من اصطناع أو جور بعضها على بعض .

يقول توفيق الحكيم : إنه شعر بنشوة جمال الأسطورة وهو يتأمل لوحة " جون روكس " التى تحمل عنوان " بيجماليون " عاشق تمثاله المحفوظة الآن فى متحف اللوفر. ولم يكن الحكيم أنذاك قد كتب بعد مسرحيته التى تحمل هذا العنوان، بل كانت اللوحة مثيرا ومنبها، فكانت مسرحيته .

وقد مرت على أدبنا فترة – والدعوة للتجديد قائمة – نظم فيها شعراؤنا بعض أشرطة السينما وما تحويه من قصص، وارتأى أصحاب هذا الاتجاه أن ذلك من شرائط " العصرية " التى تطمح بابصارها الى ساحات الإبداع بكل مظاهره، وأشدها حداثة – أنذاك – وهى السينما وربما نجد دلائل هذه الظاهرة لدى أحمد ذكى أبو شادى ، ومحمود عماد وآخرين، وإن كنا نرى أن رؤية مثل

الأشرطة هذه لا تفى بشرائط التجربة الصادقة والانفعال بها حتى تقسر شاعرها على نظمها، ولذا يقع أغلبها فى وهدة النثرية المعيبة التى تقعى بالعمل الشعرى .

والجمع بين أكثر من ملكة صعب ونادر فى القرائح الإنسانية، حتى فى مهنة كالكتابة، فمن النادر تجد رجلا يجيد شاعرا وناثرا فما بالك بفنين أو أكثر، يجمعان فى إهاب رجل واحد ، ربما تجور ملكة على أخرى، لكن مثل هذا الاقتران عسير، ولعل رجلا مثل جبران تمثلت فيه أكثر من ملكة، إذ كان شاعرا، وناثرا، ورساما، بصرف النظر عن إجادته فى كل هذه الأنماط الفنية .

وقد درج الناس فى العصر الحاضر على أن يشفعوا الكتب ببعض اللوحات على الأغلفة، أو مقرونة ببعض الفصول أو القصائد، أو مشاهد القص والمسرح مثلا، والقصد منها أن تشرك العين رؤية وقراءة أو الأذن سماعا، وأن تكون فى عون الكلمة المكتوبة إمتاعا وإيحاء للقارىء، وغالبا ما تقوم الصورة بهذا الدور فعلا، إذا أتيح

لها فنان متمكن يفهم جيدا ما وراء السطور، ويترجمة خطوطا وألوانا .

لكن أن تسبق اللوحةُ الكلمة فهذا هو الدور الذى صنعه الأستاذ أمين الصيرفى، فى هذه المجموعة التى بين أيدينا والتى اختار لها عنوانا ملونا " امرأة زرقاء " وإن كان اللون - بصفته هذه - من العناوين السريالية، التى تشيع بين أصحاب الفن الحديث هذه الأيام.

وقد صنع الشاعر الفرنسى " بودلير " صيغا مشابها حين قدم " رؤية " مكتوبة لبعض اللوحات، والشاعر الفرنسى هو صاحب قصيدة " علاقات " Correspondencias ، ويشيع لديه ما يسمى " تراسل الحواس " فالعين تسمع، والأذن ترى، الى أخر هذه العلائق ، وهى مقبولة ما كان ثمة رابطة بين الأشياء، يوشيها الخيال الصحيح، لا الوهم الزائف، ولا نقصد من ذكر بودلير هنا أن أمين الصيرفى اقتفاه، بل لنؤيد الظاهرة بظاهرة سابقة .

بيد أن الذى نلاحظه لدى أمين الصيرفى أن الكتابة قريبة من فن الرسم، وأنه يرسم حين يكتب، ونكاد نقول يكتب حين يرسم، وإن كانت الثانية أشق من الأولى، وقد لا حظنا هذه الظاهرة فى مجموعته الأولى " ثقب فى جدار الذاكرة " ورأينا أن الألوان واستخداماته لها لا تغيب إلا ريثما تبدو، وأن الريشة تحل محل القلم، فلا ينكرها القلم بل يتحاوران كلاهما فى رسم التجربة، ولا يتنافران، إلا إذا أغرق صاحبنا أحيانا فى استخدام الصبغ اللونى وكأنه الهدف فى حد ذاته، لا مجرد معين في رسم الجو والأحداث.

وأمين الصيرفى فى مجموعته الثانية هاته واع تماما بما بما يصنع، فاللون واضح جدا حتى من العنوان، فالمرأة زرقاء، والقصص ملونة، مضافا إليها لوحات، ولا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن القصة القصيرة لقطة، يجيد الكاتب اقتناصها، وإلا شردت منه، فى متاهة السرد والثرثرة، وربما كانت " اللقطة " أدق كلمة تستخدم فى هذا السباق لهذه المجموعة، خاصة إذا فهمنا من " اللقطة " هنا

أنها " التقاط صورة "، ولذا تختفى ألوان الحدث القصصى فى طيات هذه اللقطة، أو تتأخر عنها وربما ينتظرها القارىء فلا يرى ألوان الحدث بوضوح، لأن صاحبها أراد لها أن تكون ناصلة، فلا تزهو تلك الألوان كما يريد المتلقى فى بعض الأحيان .

ولذلك فكرت أحيانا أن أجعل بعض هذه اللقطات وكأنها من قبيل " الصورة القلمية " أو " النقد الانطباعى " الذى يقوم به مصور أو ناقد، يصطنع الكلمة المجنحة أداته التعبيرية، لكن رأينا أن مصطلح " اللقطة" يتسع فلا يضيق لمثل هذه الكتابات .

وتسرى فى هذه المجموعة روح شاعرية تجربة وأداء، ولعل القصة القصيرة والشعر من واد واحد، واللغة المستخدمة شديدة الرهافة، والحساسية، وكأنها خط ريشة لا خط قلم، ويدخل فى هذا الوادى الشاعرى كذلك تلك الروح الأسطورية التى تمتلىء بها الكلمات، واعتماد الكاتب على الجمل المكثفة والموحية، والتى تخلو كثيرا من أدوات الربط التقليدية يمنح قصصه سرعة ونفاذا، وكأنه

كان يعنى أسلوبه حين قال فى " بيجاسوس " : ابتكرنا لغة جديدة تختلف عن كل اللغات، ورموزا وحروفا أشبه بأزهار القرنفل الندية المزروعة فى قلب السحب "

مثل هذه اللغة الجميلة المصقولة والمجنحة لكن فى اتزان أشبه بالشعر، وإليه أقرب، وهى اللغة السائدة فى معظم هذه المجموعة، اللهم إلا فى أحيان تكون العلاقة بين عناصر الصورة أقرب الى الوهم وبه أشبه، أو تكون فضفاضة على حساب التجربة المكثفة، أو يغلبها الجنوح السريالى، وأنا فى الحقيقة أرفضة أدبا وأرفضه رسما، وأراه من قبيل التهريج الذى يروج له دعاة الوعى الباطنى، بوعى ودون وعى ، وهو ليس من الأدب ولا فن التصوير فى شىء، ورسم أمين الصيرفى فى أغلبه براء من مثل هذه النزعات الجامحة، وكتاباته كذلك فى معظمها وقصصه فى الأعم الأغلب فى مستوى جيد، يدرك قارئها أن أمين فى طريقة الى النضج المرجو منه، بعد خطوته الأولى فى المجموعة السابقة، ولا نريد أن نقحم أنفسنا بين

هذه المجموعة وبين القارئ الذى نرجو أن يواجهها وحده، وأن يرى ما يراه، ونحن آمنون أنه سيحمد رحلته قارئاً وناظرا كما حمدنا، وعلى الحمد نافلة من الثناء الحسن والأغتباط الجميل .

أبـو هـمـام

المعادى فى ١٥/٣/١٩٩٤ .

المؤلف
أمين
الصيرفى

– مواليد القاهرة فى ٩ مارس ١٩٦٥م.

– حصل على بكالوريوس تجارة – جامعة القاهرة عام ١٩٨٦م .

– دراسات حرة فى مجال الرسم والتصوير .

– دراسات فى النقد الفنى – المعهد العالى للنقد الفنى – أكاديمية الفنون ٩٠ – ١٩٩٠م .

– دورة دراسية فى مجال الاخراج وتصميم الملابس بدار الأوبرا المصرية بالتعاون مع السفارة السويدية – مايو ١٩٩٠م .

– رئيس جماعة الفن والمجتمع منذ تأسيسها عام ١٩٨٧م .

– عضو نقابة الفنانين التشكيليين .

– عضو بالعديد من الجمعيات الثقافية والفنية .

– يعمل فى مجال الصحافة والنقد منذ عام ١٩٨٤م .

– يعمل حالياً بدار الأوبرا المصرية .

– أقام (٩) معارض فردية فى مجال التصوير والرسم منذ عام ١٩٨٤ .

– شارك فى عدد كبير من المعارض الجماعية والعامة والمهرجانات والمعارض الدولية منذ عام ١٩٨٢ .

– حصل على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية .

– **مؤلفاته :**

١– ثقب فى جدار الذاكرة (قصص قصيرة) – الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١م .

٢– أساطير فى الفن والحب والجمال (دراسة) ١٩٩٢م .

٣– سوناتا زهرة القرنفل (أشعار ولوحات) ١٩٩٣م .

٤– إمرأة زرقاء (قصص قصيرة ولوحات) ١٩٩٤م .

٥– A blue Woman (ترجمة صفاء أحمد) ١٩٩٤م.

إمرأة زرقاء
قصص قصيرة ولوحات

رقم الايداع ١٥١٧ / ٩٥

مطابع لوتس بالفجالة ٥٩٠٩٣٦٣ فاكس ٢٦٠٢٢٧٢